الفصل الثاني

تمكين الشباب حقيقته، وأسبابه، وآثاره

أولاً: حقيقة تمكين الشباب بين الواقع والخيال:

(أ) أنصار الاتجاه "المثالي المتعالي"

(ب) أنصار الاتجاه النفعي

(جـ) أنصار الاتجاه الواقعي

ثانيًا: أسباب عدم تمكين الشباب وآثاره:

(أ) أسباب عدم تمكين الشباب.

(ب) آثار عدم تمكين الشباب.

تمهيد:

يحتوي هذا الفصل على جزءين: أولهما، وفيه يقدم الباحث رؤية تجسيدية حول تمكين الشباب في أرض الواقع توضح وجود ثلاثة آراء: الأول، يذهب إلى أنه لا مشكلة في تمكين الشباب في العالم العربي وأن الشباب يؤدون دورهم بشكل طبيعي في مجتمعاتهم، بينما الرأي الثاني، يعبر عن نفعيته من خلال رؤيته لما يحقق المصلحة أو المنفعة بشكل أكبر بغض النظر عن أي شيء آخر. أما الرأي الثالث، فيرى أنه لا وجود للشباب ولفرصهم في التمكين في مجتمعاتهم. كما يعرض هذا الفصل لواقع مشاركة الشباب العربي في المجالات الأساسية المختلفة، ومدى قيامهم بدورهم في الحضارة العربية منذ فجرها وما بعدها.

أما بالنسبة للجزء الآخر: فقد جاء بعنوان "أسباب عدم تمكين الشباب وآثاره"، وفيه يعرض الباحث للأسباب التي أدت إلى انزواء الشباب بعيدًا عن المشهد في الآونة الأخيرة، وعدم تمكينهم، بالإضافة إلى الآثار الناجمة عن عدم تمكين الشباب على المستوى الفردي، والمحلي، والمجتمعي، والدولي.

أولاً: حقيقة تمكين الشباب بين الواقع والخيال:

تتفاوت الآراء وتختلف في مجتمعاتنا العربية حول مدى أحقية تمكين الشباب من عدمه، وهذا يجعلنا نقف أمام ثلاثة اتجاهات رئيسة هي:

أ) أنصار الاتجاه "المثالي المتعالي":

وهم أصحاب السلطة والنفوذ أو مؤيدوهم؛ حيث يعيشون في عالم المثالية المتعالية، ولا يرون إلا ما يريدون أن يرونه، وفيما يتعلق بقضية تمكين الشباب يرون أن الشباب قد أخذ فرصته ويمارس حقوقه على أكمل وجه، ويبنون اعتقادهم هذا إما على أساس أن بعض المسئولين في الدولة قد قاموا بتعيين مجموعة من الشباب في أماكن مرموقة بالدولة، وإن كان هؤلاء الشباب يمثلون ثلة قليلة من فئة الشباب المطحونة الهالكة والمتهالكة. وهم يتعايشون مع هذا الواقع بصورة مقلوبة، وبمنطق مغلوط، حتى أصبح تعيين أو تمكين بعض الشباب بمثابة تمكين للكل من وجهة نظرهم، بدلًا من أن يكون تمكين الكل [المنطقي بشكل أكثر] هو تمكين للجزء الذي يندرج تحته. وإما على أساس تقديم الوعود والاتفاقيات النظرية فحسب، ولسان حالهم سنفعل ونفعل، دون وجود استراتيجية محددة، أو آلية ممكنة يتم الانطلاق من خلالها لتحقيق كل أو بعض ما يوعدون به على أرض الواقع.

وإذا تساءلنا ما مبرر أنصار هذا الرأي وأدلته فيما يـدَّعي مـن ناحيـة النظرة الاستشرافية من أجل تمكين الشباب؟ أو بصيغة أخرى: ما سـبب عدم تمكين الشباب بشكل كلي في المرحلـة المعـاصرة، إذا سـلَّموا بـذلك في أسوا الظروف؟

إذا ما أقرَّ أنصار هذا الاتجاه بعدم تمكين الشباب بشكل كلي في عصرنا الحالي، فإنهم يقدمون حججًا- وإن كانت واهية في ذاتها- من أجل إقنـاع الناس بما يعتقدون، ومن بين هذه الحجج قـولهم:(إن الشـباب في عصر التكنولوجيا، الذي نعيشه الآن، لا يستطيعون تحمل المسئولية كما ينبغي، سواء أكانت مسئولية سياسية، أو علمية، أو اقتصادية...الخ).

ناهيك عن أنهم دائمًا ما يرددون قول:(إننا نعيش في مرحلـة حرجـة مـن مراحـل التـاريخ لا تقبـل التجـارب والاختبـارات بشـأن الأمـة ومستقبلها)، وبالتـالي كانـت الثقـة الزائـدة في الكبـار، أي كبـار السـن، والخوف من خوض مغامرة الاعتماد بشكل كبير على الشباب. وذلك مـرده خوفهم من ثقافة التغيـير، والتجديـد، وإيمـانهم بترسـيخ فكـر "لـيس في الإمكان أفضل ممـا كان"، أو بعبـارة أخـرى "مـا نعرفـه خـير مـن الذي لا نعرفه"، أو أن "الوضع لا يتحمل خوض تجارب قد تنجح أو تبوء بالفشـل"، وغيرها من المبررات.

كما يرى أنصار هذا الاتجاه المثالي أن مشاكل الشباب هي مشاكل المجتمع، وبالتالي فإن تمكين الشباب يأتي في إطار تمكين المجتمع. وفى نظر هذه المدرسة [أو هذا الاتجاه] فإن انخفاض مستوى المشاركة بين الشباب هو مجرد العَرَض (Symptom)، أما المرض فهو تأخر مستوى تطور المؤسسات السياسية، وهشاشة مؤسسات صنع وإنفاذ "سيادة القانون"، أي تدنى مستوى الحُكمانية في بناء السلطة، وعملية صنع السياسة، واتخاذ القرار[1].

وحسب هذه النظرة، فإن قدرة (Potential) الشباب العربي لم تُكتشف جيدًا، وأن الشباب قادر على الانطلاق وريادة النهضة إذا ما تغيرت البيئة الحاكمة لسلوكه وتفعيل قدراته، أي المناخ المحيط بالشباب[2].

والملفت للانتباه أن هذه النظرة تتردد بين النخب الحاكمة والنخب المعارضة على السواء، ولكن بغرض مختلف، فتقول الأخيرة: إن البيئة "الداخلية" هي المشكلة (مثلًا: الإرادة السياسية، القوانين، السياسات..) بينما تقول الأولى: إن البيئة "الخارجية" هي المشكلة (نقص الموارد

---

(١) علي الصاوي: الشباب والحكم الجيد والحريات، بحث مقدم إلى ورشة العمل الإقليمية الثالثة، الرباط- المغرب (٦-٢٠٠٥/٧/٨)، تم الدخول، ٢٠١٧/٦/٣٠. ص ٣.

(٢) المرجع نفسه.

الطبيعية الوطنية، تحديات إقليمية اقتصادية وإستراتيجية، مخاطر خارجية تهدد الأمن الوطني..)[1].

وهذه المدرسة ترى أيضًا أنه من غير الضروري "حصحصة" الديمقراطية، بالحديث عن الأنشطة التي تُسمى "التمييز الإيجابي" للمرأة مثلًا، [أو الشباب]، أو للأقليات الدينية، أو للطبقة العاملة.. بل إن الأهم هو إصلاح مؤسسات الحكم، لتكون جيدة، من خلال احترام سيادة القانون ومبادئ الشفافية[2].

لكن كل هذه الادعاءات المزعومة واهية، ومن ثَمَّ لا تصمد طويلًا أمام النقد والرد، وذلك على النحو التالي:

بداية، إن لم يكن الشباب هم الذين يتحملون المسئولية، سواء السياسية، أو العلمية، أو الاجتماعية، فمنْ؟ ثم إذا استقرأنا تاريخ الحضارة العربية وخاصة في مرحلة أوجها وازدهارها وتقدمها، وبعبارة أخرى في عصر نهضة الحضارة العربية والإسلامية، نجد أن هذه الحضارة قامت على كاهل الشباب وسواعدهم، والتاريخ زاخر بآلاف القادة، والعسكريين، والعلماء، والفقهاء، والحكماء، والفلكيين، والأطباء، والرياضيين،...إلخ من الشباب الذين أبلوا بلاءً حسنًا في نهضة الأمة

(١) علي الصاوي: مرجع سابق، ص ٣.

(٢) المرجع نفسه.

العربيـــة وتقـــدمها بمختلـــف معتقـــداتهم أو ديانـــاتهم، ومـــذاهبهم، وانتماءاتهم، وأفكارهم، والذين تم تمكينهم بناءً على معيار الكفاءة والتميز، لا المحسوبية والرشاوى. على العكس مما نحن عليه الآن مـن التخـلي عـن الشباب، والنوم في سباتٍ عميق تصحبه دَعَة، وركـود، وخمـول لا متنـاهٍ في كثير من الأحوال.

لعل أكبر دليل على ذلك، ما أسست له القـوات المسـلمة خـلال فـترة الغزوات الأولى الممتـدة مـا بـين بـدايات القـرن السـابع والقـرن الثـامن ميلادي، وخاصة منـذ بـدء العصر الذهـبي للإسـلام مـع بدايـة الخلافـة الأموية وقيام أكبر إمبراطورية إسلامية شهدها العالم.. الدولـة الأمويـة. تأثرت الخلافـة بـالفرائض القرآنيـة وبـأهم الأحاديـث النبويـة الشريفة مشددةً على أهمية المعرفة. وقد أصبح العالم الإسلامي، خلال هذه الفـترة، المركـز الثقـافي والفكـري المنفـرد في العـالم للعلـم، والفلسـفة، والطـب، والتعليم حيث رسخ الأمويون أسباب المعرفة ونشروا الإسـلام في منـاطق شتى من الشرق والغرب، وتم تأسيس الكثير دور العلم والمعرفـة وجـذبوا العلماء، وقد أطلـق الأمويـون أول عملـة إسـلامية هي الدينـار الأمـوي، وأسسوا أول أسطول بحـري، وشـيدوا وأشـادوا معـالم إسـلامية خـالدة في دمشق، وقرطبة، والقدس، والمدينة، وحلب وغيرها من المـدن الإسـلامية، وأســس الأمويــون المستشــفيات، والمكتبــات، ودور العلــم، والعبــادة،

والقصور، وفي العصر العباسي شيد "بيت الحكمة" في بغداد؛ وهو مكان سعى إليه كل من العلماء المسلمين وغير المسلمين؛ لترجمة وجمع وخلق المعرفة من كل العالم إلى اللغة العربية[1].

على هذا فقد كان للدين الإسلامي دورٌ عظيمٌ في حثه على ضرورة تمكين الشباب؛ فلم يرفض أتباع الديانات الأخرى في التعايش والعمل من أجل نهضة الأمة الإسلامية والعربية التي يعيش في كنفها وتحت ظلالها المسلمون، وغير المسلمين من اليهود والنصارى في أمن، وأمان، وعدل، وسلام. في الوقت نفسه الذي بلغ فيه شباب المسلمين ما بلغوا في الفقه، والعلم، والطب، والفلك، والهندسة،...إلخ، ولعل أكبر دليل على ذلك ما فعله حكام المسلمين وخلفاؤهم.

فلا غرو أن نجد الحكام والخلفاء يهتمون في أن يكون أطباؤهم من هؤلاء الذين هم من غير المسلمين، بل من اليهود، والنصارى، والمجوس، حتى لقد كان للمتوكل (٥٦) ستة وخمسون طبيبًا كلهم من النصارى[1].

---

(1) https://ar.wikipedia.org/wiki/الذهبي_للإسلام_العصر Accessed: 28/2/2017.

See: Vartan Gregorian, **"Islam: A Mosaic، Not a Monolith"**, Brookings Institution Press، 2003, pg 26-38.

لقد كان ابن أثال النصراني طبيب معاوية بن أبي سفيان، كما كان يوحنا بن ماسويه النصراني طبيب المعتصم بالله، كما عينه الخليفة المأمون رئيسًا لبيت الحكمة، وكان أبو الحكم النصراني الدمشقي يعتمد عليه معاوية في تركيب الأدوية. وهذا يوضح كيف أنه يجوز الاستعانة بغير المسلمين فيما هو دنيوي من أجل تحقيق مبدأ التعايش وإرساء قواعد نهضة الأمة العربية عمومًا[٢].

بالإضافة إلى أننا إذا نظرنا إلى العصر الغربي الحالي- عصر التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل- تحدونا الدهشة حين نرى أن العلماء الذين ساهموا في ازدياد نهضة الحضارة الغربية وتقدمها هم الشباب، وخاصة شباب العالم العربي المسلم؛ الذي لم يجد من دولته ووطنه دعمًا لتحقيق أهدافه، وابتكاراته، ومشروعاته البحثية والعلمية، فما كان إلا أن ارتمى في أحضان الغرب من أجل تحقيق أمنياته المتمثلة في: الشهرة، والمال، والإبداع في مجال التخصص. ناهيك عن أن الشباب في الدول الغربية تجد منهم: الرؤساء، والوزراء، وأصحاب السلطات السيادية في الدولة، الذين لا

---

(١) السيد جعفر مرتضى العاملي: خصائص الآداب الطبية في الإسلام، مع لمحة موجزة عن تاريخ الطب، المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، ص ٣٧.

(٢) انظر: الفكر السرياني وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، كنيسة القديسة تريزيا بحلب، ١٤ كانون الأول ٢٠١٠.

تتعدى أعمارهم الأربعين عامًا في كثير من الأحوال، ولعل خير مثل على ذلك الرئيس الفرنسي الشاب "إيمانويل ماكرون" الذي لا يتجاوز سنه الأربعين عامًا- تسعة وثلاثون عامًا- والذي أثار فوزه جدلًا واسعًا بل ومنذ إعلان خوضه سباق الوصول إلى "الإليزيه"، خاصة بيننا نحن أبناء العالم العربي؛ لأننا لا نألف مثل هذا الأمر في بلادنا الشرقية- العربية بسبب قهرنا ما من قِبل الأنظمة السياسية التي تتمتع بالأساليب القمعية، والديكتاتورية والاستبدادية إلا فيما ندر.

ب) أنصار الاتجاه "النفعي":

يرى أنصار هذا الاتجاه أن مشاكل الشباب تختلف عن مشاكل المجتمع، وأنها لا ترتبط مباشرة بمستوى الحكم الجيد. ويترتب على تلك النظرة إعطاء الأولوية للخدمات الموجهة للشباب، مثل: الأنشطة الترفيهية والرياضية، أو بناء مساكن الشباب، والقول إن الشباب يريد الانضمام إلى سوق العمل وليس الانضمام إلى الأحزاب (بطريقة: سأعطيك سمكة، فلا تعبأ بالمشاركة في الصيد.، ومادمت لن تتعلم الصيد فلن يؤثر كلامك حول قراراتي!)[1].

(١) علي الصاوي: مرجع سابق، ص ٤.

ويترتب على هذه النظرة النفعية لتمكين الشباب أن المرء سيواجه معضلة علمية وسياسية، تضطره إلى المفاضلة في أولويات السياسات العامة بشأن الشباب بين مواجهة البطالة؛ باعتبارها مشكلة اقتصادية، وإصلاح آليات سوق العمل؛ باعتبارها مشكلة سياسية وإدارية[1].

وفي هذه الحالة يتم القبول بهامش "ضَيِّق" من الحريات والمشاركة السياسية باعتبار أن هذا الهامش سوف يتسع بعد انخفاض حدة المشكلة الاقتصادية وعند توافر الموارد المالية اللازمة لتلبية احتياجات الشباب من الخدمات، ويتم الترويج لثقافة تبرر النقص في الحريات بالتقدم في الخدمات[2].

ج) أنصار الاتجاه "الواقعي":

وهم أولئك الذين يرون أن الشباب قد حُرم الخير الكثير، ومن ثمَّ لم يتم له التمكين، وأنصار هذا الاتجاه لا مصلحة لهم إلا نهضة الأمة ورفعتها وذلك من خلال إيمانهم بأنه لا نهضة للأمة العربية إلا بتمكين الشباب بمختلف توجهاته الدينية، أو السياسية، أو العرقية، أو...الخ.

---

(١) علي الصاوي: مرجع سابق، ص ٤.

(٢) المرجع نفسه.

وينطلق هؤلاء من أرض الواقع المرير؛ حيث ضجت المقاهي بالشباب، وامتلأت دور السينما بالفتية والفتيات، وأحاط اليأس سياج الأمة من كل جانب، ولمَ لا؟ وقد أضحت البطالة سمة العصر، والانحراف الفكري والاجتماعي خيَّم بظلاله على جميع أنحاء الأمة؛ وذلك بسبب تخلي قيادات الأمة العربية عن الشباب، فبالتالي تخلى الشباب عنهم، وأصبح يعيش في حالة اغتراب نكراء، اغتراب عن كل شيء، عن الأمة، وعن الدولة، وعن المجتمع، وعن الأسرة...إلخ.

وإن كان التعميم خطأ منطقيًّا، فإن بعض الدول العربية أخذت تنتبه لمثل هذه الأمور وبدأت بالفعل في العمل على تمكين الشباب والاستفادة من قدراته وإمكاناته المتدفقة التي لا تنضب.

فرأينا في الآونة الأخيرة انفتاح البلاد العربية وشبابها على تجارب سياسية "مقارنة" ببلدان أخرى مكن شبابها من إدارة المقاليد الاقتصادية والسياسية، وتوصلوا إلى تحقيق نجاحات ملفتة، وسعت الهوة الكامنة بين الموجود والمنشود، وبين ما يسود في الواقع وبين ما حلم به الشباب أو انتظروه. وعندما يقرأ شاب لبناني أو تونسي أو مصري عن كون وزير الخارجية النمساوي سيباستيان كورس، عُيّن وزيرًا وعمره لا يتجاوز ٢٨ عاما، أو أن رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو لا يفوق عمره ٤٣ عامًا، أو أن وزير الصحة والرياضة السويدي غابرييل يكستروم

عمره ٢٩ عامًا، يتبين أن السن أو انعدام التجربة لا يمثلان عائقًا أمام تحمل المسئوليات والتمكين، بل إن المسألة في عمقها وجوهرها هي رهان على كفاءة. فالتأخر في تمكين الشباب من الاضطلاع بالمسئوليات القيادية، والخلاف بين الرهان على الشباب أو الاستفادة من الخبرة، قد يفضيان إلى سجال سياسي في بلد عربي أو آخر[١].

وما يقيم الدليل على أن المسألة ليست "قدرًا عربيًا" هو أن العديد من الدول العربية انخرطت في مسار تمكين الشباب من المسئوليات القيادية، أليست "شما المزروعي" التي عينت في العاشر من فبراير ٢٠١٦ وزيرة لشئون الشباب في دولة الإمارات، أصغر وزيرة في العالم عن سن لا تتجاوز يوم تعيينها ٢٢ عامًا؟ والأمر ينسحب كذلك على أقطار عربية أخرى حاولت تمكين الشباب في الوزارات أو مواقع قيادية أخرى مهمة[٢].

من كل ما سبق دعتنا الحاجة إلى أن نعرض لأسباب عدم تمكين الشباب بشيء من التفصيل وذلك على النحو التالي:

---

(١) تمكين الشباب العربي من المواقع القيادية: النجاعة أم الأحلام، صحيفة العرب [نُشر في ٢٠١٧/٠٤/١٨، العدد: ١٠٦٠٦، ص (١٢)، لندن].

, Accessed: 1/8/2017.http://www.alarabonline.org/article/3%

(٢) تمكين الشباب العربي من المواقع القيادية: النجاعة أم الأحلام، مرجع سابق.

ثانيًا: أسباب عدم تمكين الشباب وآثاره:

إنَّ المعالجة الصادقة لأية قضية تؤرق المجتمع والأمة، وتهدد كيانهما، وأمنهما، وازدهارهما، ينبغي أن تبدأ بدراسة الأسباب التي أدت أو يمكن أن تؤدي إليها، خاصة إذا كانت الظاهرة متكررة عبر التاريخ؛ وذلك لأنَّ إعطاء الدواء دون تشخيص للداء نوع من العبث، والوقوف على الأسباب دون إعطاء الدواء نوع من العجز والانتحار[1]. وعلى هذا، فإن الوقوف على المرض والاعتراف به هو أول طريق العلاج الأنجع.

لذا يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة تحديد أسباب عدم تمكين الشباب أو التحديات التي تعوق تمكين الشباب، وآثاره ليس على الفرد والمجتمع فحسب، بل وعلى الأمة العربية عمومًا.

أ- أسباب عدم تمكين الشباب:

تعددت الأسباب التي أدت إلى عدم تمكين الشباب، ونعرض منها على سبيل المثال لا الحصر الأسباب التالية، وفيها نشخص المرض فحسب، ثم نُقدم الحلول في الفصل الذي يليه والذي نتناول فيه طرق العلاج، ومن هذه الأسباب:

(١) طه عابدين طه: مرجع سابق، ص ٢٧.

أولاً: أسباب سياسية:

لعل أهم الأسباب على الإطلاق- التي تكون تحديًا أو سببًا في عدم تمكين الشباب- الأسباب السياسية؛ وذلك لأنها متعلقة بمَنْ بيدهم زمام الحكم والسلطة، فإن لم يُمَكَّن للشباب من قِبل منْ بيدهم الحكم، فمِمَّن؟!!

إضافة إلى ما ذكرناه في السابق- من آراء وادعاءات تُنذر بعدم استطاعة الشباب للتمكين- نضيف رأيًا سياسيًا آخر، وهو عدم استقرار الأنظمة السياسية في المنطقة العربية؛ بسبب الصراع على الحكم والمناصب وتبني الأنظمة الديكتاتورية في بعض الأحيان من ناحية، وبالتالي، عدم استقرار الأنظمة السياسية في المنطقة. وبسبب أن دول الغرب لم ولن تترك دول العالم العربي تهنأ أو تعيش في راحة أبدًا؛ لعلمها بمدى خطورة تفوق العالم العربي والإسلامي وتقدمه على مصالحها الخاصة، ومن ثمَّ تبنى الغرب نظرية المؤامرة على العالم العربي من ناحية، ناهيك عن مهمة تفتيته من ناحية أخرى.

كما ترتبط الأسباب الإعلامية بالأسباب السياسية، ونقصد بالإعلامية هنا التابعة للحكومة أو لسياسة الدولة، سواء على المستوى السمعي، أو المرئي؛ بحيث تتناول القضايا التي تفرضها عليها السياسات المتَّبَعَة، مع إهمال شديد للشباب وعدم استغلال طاقاته فيما هو نافع،

وإنما بالعكس تعمل الأجهزة الإعلامية في أغلب الأحيان على تدمير طاقات الشباب من خلال طرح النموذج السيئ أو الفاشل وكأنه القدوة والمثل الأعلى الذي ينبغي الاقتداء به وحذو حذوه، في الوقت نفسه الذي تقتل فيه الطاقات المبدعة والمنتجة، سواء من خلال بخسها وازدرائها، أو إهمالها وتحاشيها. وإن كان ثمة إعلام هادف وناجح إلا أنه محدود النطاق والهدف.

ثانيًا: أسباب اجتماعية (غياب العدالة وتفاقم التفاوت الطبقي):

لا شك فى أن العدالة الاجتماعية مطمح كل المجتمعات، وكل القوانين السماوية والوضعية تحُض على العدالة الاجتماعية، وتُعدُّ العدالة الاجتماعية من أهم مطالب [ثورات الربيع العربي والشعوب العربية جميعًا] ولاسيما الثورة المصرية ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م المجيدة، حيث يعاني الشعب المصري من وجود طبقتين في المجتمع، طبقه غنية تستحوذ على الثروة والسلطة معًا، وأخري فقيرة لا تحظى بأي اهتمام وتعانى من ثالوث: الفقر، والبطالة، والمرض، وتأتي أهمية العدالة الاجتماعية من كونها معالجة لأوضاع الفقراء في المجتمع، والتي تنعكس على ما يُقدم لها من

خدمات متدنية في التعليم، والصحة، والمناطق التي يسكنها هؤلاء والتي تعانى من العشوائية والتهميش[1].

لذا فإننا نجد أكثر الشعوب العربية عدم تمكين للشباب تلك الشعوب التي تغيب فيها العدالة الاجتماعية، ويطفو فيها التفاوت الطبقي، والتمايز العِرقي والعنصري.

وعلى هذا فإن انحصار العدالة في هذه القوى أحدث تصدعًا في ميزان العدالة بعد أن أصابه شرخ كبير ترتب عليه أن طاشت إحدى الكفتين وثقلت الأخرى. وهذا هو حال كثير من البلدان التي فقد فيها الكثير من الناس أبسط مبادئ العدالة؛ فالغني يزداد غنىً والفقير يزداد فقرًا، وقد صرنا كأننا نعيش في غابة يأكل فيها القوي الضعيف بعد أن أصبح الإنسان منا ذئبًا لأخيه الإنسان في كثير من الأحيان.

هذا بالإضافة إلى تلك الأسباب الثقافية التي ترجع إلى ثقافة الشعوب العربية، وعاداتها، وتقاليدها التي تنظر للشباب- في كثير من الأحيان- نظرة دونية تحوي في باطنها الاستعلاء، والتي مفادها أن الشباب لا يقوى

---

(١) حازم محمد إبراهيم مطر: اتجاهات الشباب الجامعي نحو العدالة الاجتماعية كمتغير في صنع سياسات الرعاية الاجتماعية الجديدة، رسالة ماجستير(غير منشورة)، إشراف الدكتور/ طلعت مصطفى السروجي، والدكتورة/ عزة على شحاتة، القاهرة، جامعة حلوان، ٢٠١٢، ص ١.

على تحمل المسئولية لافتقاره للخبرة التي مرَّ بها أسلافه، والعقلية، والقدرة، والكفاءة، التي يمتلكها كبار السن، ناهيك عن عدم الثقة في إمكاناته وشهاداته، وقدراته. باختصار النظر إليه بنظرة العصور القديمة، أو ما يمكننا أن نطلق عليها قياس الماضي على الحاضر، أو الغائب على الشاهد.

ثالثًا: أسباب اقتصادية (الفقر، والجهل، والمرض):

إن كانت بعض الدول العربية لديها الإمكانات المادية والاقتصادية المتميزة، فإن البعض الآخر يعاني من قلة الموارد الاقتصادية، ومن ثَمَّ صعوبة في تمكين الشباب في العديد من القطاعات الحكومية والخاصة على حدٍ سواء.

لهذه الأسباب الاقتصادية المتردية تأثير كبير على الحالة المجتمعية؛ فقد ينشأ عن قلة الاقتصاد أو الفقر إهمال التعليم، والصحة، والبيئة، بل والإنسان نفسه في كثير من الأحيان، وبالتالي يصير عرضة للفقر، والجهل، والمرض، وما أدراك من دولة أو مجتمع ينتشر فيه هؤلاء الثلاثة أو ما يُطلق عليها الثالوث المدمر؟!!.

يرى الباحث أن قلة الموارد الاقتصادية ترجع لسببين: أحدهما سبب طبيعي، وذلك بسبب قلة الموارد الطبيعية، أو الزلازل، والبراكين، والفيضانات، وسوء الطقس والأمطار، ... وغيرها. أما الآخر، فسبب بشري

مردُه إلى أن بعض البلدان العربية عاشت فترات طويلة- وبعضها لا يزال- تحت ظلم الاستدمار[1] أو الاحتلال الأجنبي الغاشم الذي حطم الحلم العربي من ناحية، ودمر اقتصاد وموارد البلاد العربية ونهبها من ناحية أخرى. ناهيك عن اتباع الأنظمة الديكتاتورية والاستبدادية في بعض البلدان، والتي كانت سببًا في التفاوت الطبقي وزيادة حدته، وتقسيم المجتمعات إلى طبقة رأسمالية تمتلك كل شيء، وطبقة دونية لا تملك شيئًا.

---

(١) الاستدمار **La Colonisation**: مصطلح مستحدث، رغم أصالته في العربية، وهو من اقتراح الكاتب الجزائري الراحل مولود قاسم، ويؤدي معناه، معنى كلمة (استعمار)، التي استعملت خطأ في هذا المعنى- نتيجة الخطأ في ترجمة اللفظ الأجنبي السابق- حيث وردت في القرآن في قوله تعالى (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)، بمعنى الإسكان والإعمار، أي جعلكم تسكنون الأرض وتعمرونها. وهذا المعنى مخالف لكلمة La Colonisation التي تدل على الاستدمار بجميع صوره ولا تدل على الاستعمار الذي يعني في العربية: إعمار الأرض وعمرانها.

انظر: علي سعد الله: نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ٣٤١.

رابعًا: أسباب شبابية:

ترجع للشباب نفسه في ظل عالم التكنولوجيا والتقدم الذي وفَّر الكثير والكثير من سبل الراحة، التي على إثرها أصيب بعض الشباب بصدمة- وإن شئت فقل قطاعًا كبيرًا منهم، جراء التقدم الهائل وكيف أن بلاده لا تواكب هذا التقدم؛ نتيجة لذلك انتابه الشعور بالإحباط والملل في الوقت الذي كان ينبغي فيه أن يكد ويجتهد ويعمل من أجل تخطي الدول المتقدمة وتحقيق الانجازات التي تؤهله للتفوق عليها بدلًا من اللحاق بركابها والرضا بالتبعية لها.

على هذا بدأ يأخذ الإحباط لدى بعض الشباب صورة الشعور بالاكتئاب، وهناك من يتمرد ويظهر السلوك العدواني أو المتطرف نتيجة شعور الفرد بالهزيمة أو الفشل، وكلما كان موضوع الإحباط مهمًا لدى الشخص أو يتعلق بمجال حيوي ومباشر كان الإحباط أشد، وظهرت ردة الفعل بصورة أقوى واعنف[1].

على النقيض من هؤلاء، نجد الفئة الأخرى القليلة من الشباب التي لم تتأثر بظروف مجتمعاتها وبلادها والتي تملكت من اليقين بالله ثم علو

(١) أسماء بنت عبد العزيز الحسين: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، دراسة تحليلية، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٤، ص ص٢٤،٢٥.

الهمة وتحديد الهدف؛ مما مكنها من بلوغ المناصب الإدارية المتميزة، وبالتالي جاءت النتيجة مثمرة وناجعة؛ لأن هؤلاء الشباب لا يعرفون لليأس طريقًا، ولا يأخذون من القنوط منهجًا، وإنما جدُّوا واجتهدوا فبلغوا ما بلغوا.

ب- آثار عدم تمكين الشباب:

لا شك في أن لعدم تمكين الشباب آثارًا بالغة؛ سواء على المستوى الفردي أو الذاتي، أو على مستوى المجتمع، أو على مستوى الأمة العربية ككل. وبلغة أخرى، تنجم عن عدم تمكين الشباب آثار عامة وآثار خاصة.

١) البطالة:

يعاني الشباب من مشكلة البطالة، حيث لا يجدون العمل المناسب لمؤهلاتهم وقدراتهم، أو لا يجدون فرص عمل في العموم. أي إنهم إما يعانون من البطالة الرأسية التي تعني التفاوت بين طبيعة القدرات، والمهارات، والمؤهلات التي يحملها الشاب، ونوعية العمل الذي يعمل به، أو يواجهون سوقًا تستبعدهم، فلا يجدون فرصة عمل تستوعبهم؛ ولذلك يضطرون للسفر للخارج بالطرق الشرعية تارة وبالطرق غير الشرعية تارة أخرى. أو قد يلجئون للعمل الحر بالحصول على قروض ميسرة [دون فائدة] من الجهات الرسمية كالصندوق الاجتماعي، أو من خلال الجمعيات

الأهلية؛ وذلك لعمل مشروعات صغيرة في مجالات اقتصادية متنوعة، كل حسب الخبرات التي لديه، وبحسب الجماعات المرجعية التي ينتمي إليه[1].

هذا معناه أن مشكلة البطالة يتولد عنها عدد من المشكلات ويرتبط بها عدد من الحلول المقبولة مجتمعيًا. فمن ناحية المشكلات فقد تؤدي البطالة إلى زيادة العنف الشبابي، وولادة عصابات صغيرة من الشباب- وبالذات في المناطق العشوائية والفقيرة- تمارس العنف والبطلجة... كذلك ترتبط المشكلة بالهجرة غير الشرعية التي تنتشر في بلاد عديدة داخل القطر المصري [والعربي عمومًا]، وفي قرى بعينها، مشكلة فيما بينها شبكة من علاقات الارتباط، إلى حد أصبحت معه مشكلة الهجرة غير الشرعية فعلًا مرتبط بالصلات القرابية الأسرية[2].

علاوة على هذه المشكلات ذات الصلة، فإن ثمَّة عوائق بنيوية أساسية تحول دون تحقيق تقدم حقيقي في مواجهة القضية، أولها غياب قيمة العمل الجماعي، ورفض العمل غير الحكومي. المشكلة الأولى مرتبطة بطبيعة التنشئة التربوية في المدارس والجامعات، حيث نجد أن النشاط

---

(١) محمود عبد الله: الإشكاليات والحلول: نحو رؤية واقعية لتمكين الشباب، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، ٢٢ فبراير ٢٠١٦، تم الدخول ٢٠١٧/٧/٢.
http://rawabetcenter.com/archives/21120

(٢) محمود عبد الله: مرجع سابق.

الجماعي داخل هذه المؤسسات التربوية في تراجع شديد، ولا يتم وضع هذه القيمة كقيمة أساسية لتقييم الطلاب، وبالتالي ينشأ الطلاب على الفردية والأنانية؛ لأن مصدر التقدير الأدبي والمعنوي هو القدرات الذاتية، وليس العمل في جماعة. هذا رغم أننا في الأساس مجتمع تقليدي تعلو فيه القيم الجماعية على الفردية. ورغم أننا مررنا بثورة كبيرة وعدد من الموجات الثورية [في عالمنا العربي] أثبتت القدرة على العمل الجماعي دون الخضوع لقيادة مركزية، ورغم ما لدينا في تاريخنا الحديث والمعاصر من الشواهد الدالة على تميز المصريين في العمل الجماعي الخلاق، فإن ذلك لا نجد له أثره[1].

أما المشكلة الأخرى، فهي مشكلة مرتبطة بالطبيعة الخاصة للعمل الحكومي وما تتوفر فيه من ميزات لا يجد الشباب لها مثيلًا في القطاع الخاص أو في العمل الحر. ففي القطاع الخاص يجد الشاب نفسه مهددًا من قبل صاحب العمل، وخاضعًا لإرادته، إذ يمكن الاستغناء عنه في أي وقت، خاصة أن بعض الشركات تقوم بإجبار المتعاقدين للعمل لديها على التوقيع على الاستقالة قبل التعيين، حتى يسهل الاستغناء عنه في الوقت المناسب، كما لا تتوفر فرصة الحماية من مخاطر العمل. والملفت حقًا أن مشكلة البطالة كانت على رأس القضايا التي رأى الشباب ضرورة مواجهتها

(١) محمود عبد الله: مرجع سابق.

في أحدث الدراسات التي قام بها في المركز القومي للبحوث الاجتماعية، وقد تكررت ذات النتيجة في بحث آخر أجري قبل ثورة يناير، وجاء تحت عنوان "هموم واهتمامات الشباب المصري"[1].

نستنتج مما سبق أن استفحال ظاهرة البطالة في السنين الأخيرة، وتحولها إلى ظاهرة عالمية تؤرق بال الجميع- بدءًا من الشباب العاطل وأسرهم وصولًا إلى المقررين والسياسيين ورجال الاقتصاد- ناجمة في جوهرها عن انعدام التوافق بين التعليم والتكوينات المتوفرة وحاجيات المجتمع في الازدهار؛ مما يؤدي إلى إهدار كبير في الجهد والأموال وتصاعد البطالة في صفوف خريجي الكليات والمعاهد العليا، والتي تُعدُّ من الناحية السيكولوجية أكثر قساوة من بطالة غير المتعلمين؛ فخريجو الجامعات تكونت في أذهانهم تمثُلات راسخة، عن حاجياتهم ومستويات عيشهم المستقبلية يصعب عليهم القبول بأقل منها أو التنازل عنها، كما أنهم لا يقبلون بأي عمل كان ويترفعون عن العمل اليدوي[2].

---

(١) محمود عبد الله: مرجع سابق.

(٢) عبد القادر أزداد: ثقافة التغيير عند الشباب على ضوء الربيع العربي، جامعة الحسن الثاني عين الشق الدار البيضاء المملكة المغربية، د.ت.، ص ص ١٣،١٤.

٢) تعاطي المخدرات:

من الآثار الجانبية لعدم تمكين الشباب شعور الشباب بالفراغ القاتل، وكذلك الاغتراب عن المجتمع الذي سئمه كثيرًا، وفي ظل غياب العمل، والوازع الديني، والرقابة، لا يجد بعض الشباب مَفَرًا من تفريغ طاقته إلا في المخدرات ومشتقاتها هروبًا من الواقع وتحمل المسئولية إلى العيش في ظلمات اللاوعي وفقدان الأمل.

إن سببًا رئيسًا من أسباب تعاطي المواد المخدرة هو البطالة؛ وذلك لأن البطالة ترتبط بالإقبال على المواد المخدرة؛ للحصول على المتعة، والهروب من المسئوليات الاجتماعية، والعجز عن التحقق الذاتي[1].

٣) الانضمام لجماعات متطرفة:

ليس ثمة شك في أن التطرف الفكري يكون أكثر انتشارًا وسط الشباب، وعند التساؤل: لماذا يكون التطرف الفكري أكثر انتشارًا في فئة الشباب دون أي فئة عمرية أخرى؟

نجد الإجابة عن هذا التساؤل تتمثل في أن أولئك الأطفال الصغار لم تكتمل شخصيتهم بعد؛ فهم لا يمتلكون عقلاً ناضجًا، ولا علمًا، ولا قوة، ولا شجاعة حتى يكون لهم فكر، ناهيك عن أنهم لا يزالون في

(١) محمود عبد الله: مرجع سابق.

مرحلة التكوين الفكري، والعقلي، والشخصي. كما أن الشيوخ الكبار؛ وإن كانوا يحوزون فكرًا، وعلمًا، وشخصية فإنهم ليس لديهم الشجاعة ولا القوة التي تجعلهم يعبرون عما يؤمنون به[1].

وعلى النقيض من هؤلاء يكون الشباب؛ فهم الذين خرجوا من مرحلة التكوين الطفولي إلى مرحلة النضج العقلي والفكري، وإن كانوا لا يزالون في مرحلة عدم الاكتمال، كما أنهم لم يصلوا بعد لسن الشيخوخة الذي يحول بينهم وبين ما يشتهون أو يريدون. بالإضافة إلى أن الشباب أكثر اندفاعًا وتهورًا وقوة من غيرهم، وذلك نتيجة للحالة الاجتماعية التي يعيشها معظم الشباب من بطالة وعدم اكتراث الدولة لحالهم، وغياب سياسات ناجعة اتجاه الشباب وتوفير الفضاءات المناسبة لاحتضانه وجعله يؤدي دورًا إيجابيًا داخل المجتمع، وهو ما يفسر سرعة تقبل بعض الشباب لمثل هذا التطرف الفكري.

ناهيك عن أن هذه الجماعات المتطرفة من الشباب تنشأ نتيجة لدافع العزوف عن المشاركة في العمل العام، الناجم عن طبيعة بنية النظام السياسي الذي لا يشجع عمليًا على دمج الشباب، لكنه يُقدم مبادرات

---

(١) جميل أبو العباس زكير: المتطرفون؛ نشأة التطرف الفكري، وأسبابه، وآثاره، وطرق علاجه، تقديم، بهاء درويش، القاهرة، دار النخبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص ١٠٢.

يغلب عليها التقليدية والشكلانية. فمن ناحية يلجأ لمبادرات من نوع توفير قروض متناهية الصغر، دون بناء سياسة واضحة توجه هذه القروض بما يخدم الصالح الوطني. أو تخصيص عام للشباب، فيما يتم وضع الشباب رهن الاعتقال دون محاكمات حتى الآن، مع غلبة خطاب تهميشي- واستبعادي للشباب، يعيدنا لأجواء النظم الفاشية والنازية[1].

وبطبيعة الحال فإن هذا الخطاب التهميشي- والاستبعادي، والتحقيري، هو نتاج طبيعي وحتمي لصراع الأجيال، والخلاف المنهجي في تصور الدولة وطريقة عملها. فلا تزال الأجيال التي عاشت في ظل أجواء الزعامة الملهمة وطاووسية القائد، تؤمن بضرورة وجود قيادة جماهيرية مفكرة وتنويرية، باعتبارها الأقدر لدواعي تتصل بطبيعة الثقافة والمجتمع المصري والعربي، فيما اختلفت الأوضاع مع بزوغ شرائح شبابية جديدة، منها من تلقى تعليمًا أجنبيًا داخل مصر أو خارجها، ومنها من تعلم ذاتيًا بتكوين قدراته الخاصة تكوينًا جادًا، ومع نشوء مناخ عالمي يدعم غياب هذا النوع من الزعامات لِمَا خلفه من كوارث إنسانية، ما زلنا نعاني منها حتى الآن[2].

---

(١) محمود عبد الله: مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه

٤) الهجرة غير الشرعية:

هناك العديد من القرى في المجتمعات العربية عمومًا والمصرية خصوصًا تنتشر فيها ظاهرة الهجرة إلى بلاد أوربية كإيطاليا، وفرنسا، وروسيا، وغيرها من البلدان، للحصول على فرص عمل، وذلك عبر انتهاج طرق سفر غير شرعية، معرضين أنفسهم للموت. فيقعون تارة ضحايا للموت، وأخرى لاستغلال السماسرة، أما إذا استقر به الحال، فإنه يقع فيما يسميه زيجمونت بومان بـ"ثقافة آكلي لحوم البشر". حيث يرى "بومان" أن البلدان الأوروبية تقوي اقتصادها باستخدام العمالة الأجنبية، ولكنها لا تكتفي بمص دماء هذه العمالة، بل وتعمل على محو خصوصيتها عبر سياسة دمج، تستهدف تخليصهم من ماضيهم القومي. والواقع أن هجرة هؤلاء الشباب للعمل في مجال البناء والتشييد بوجه خاص، يدلنا على عدد من الحقائق الأساسية[١]:

– أولاها: أن القرى التي هاجر أبناؤها للعمل بالخارج قد استفادت اقتصاديًّا بصورة كبيرة، وهو ما بدا واضحًا في طبيعة عمرانها، والمستوى التعليمي لأبنائها من الجيل الثالث من أبناء المهاجرين.

– ثانيها: أن سوق عمالة التشييد والبناء يشهد تراجعًا كبيرًا في الراهن؛ ما يستدعي النظر فيه ومعالجة أزماته.

---

(١) محمود عبد الله: مرجع سابق.

– ثالثها: عدم قدرة الجهات الرسمية على بناء جسور من التعاون المشترك مع البلدان المضيفة بحيث تيسر السفر، وتقلل بقدر الإمكان من فرص الهجرة غير الشرعية.

أما بالنسبة للهجرة الشرعية، فإنها لا تقل كثيرًا عن الهجرة غير الشرعية من حيث المخاطر التي يتعرض لها شبابنا العربي أو الضريبة التي يدفعها إخواننا وأبناؤنا المغتربون سواء أكانت غربتهم في دول عربية أخرى أو في دول أجنبية، فقد لاحظنا في الآونة الأخيرة كيف أن الشباب العربي لا يحظى بالقبول والاحترام والمعاملة الإنسانية في بعض الدول العربية مثل غيره من الأجانب الذين أتوا لهذا البلد أو ذاك. فعلى سبيل المثال: يتمنى بعض شبابنا المصري المطحون أن يُعامل مثل معاملة الهنود من قِبل بعض الدول العربية الشقيقة. وهذا ما يُحزنهم ويُؤلمهم ولسان حالهم يقول: نحن أحق بالمعاملة الطيبة من أي أحد لما لنا من حقوق مثل: حق الأخوة في الإسلام، وحق الأخوة في العروبة وحق الأخوة في اللغة، وحق الأخوة في الجوار... وغيرها.

في كل الأحوال فقد عانى شبابنا العربي المغترب الويلات تلو الويلات؛ من غربة خارج الوطن أبعدته عن أهله وأحبته وأفنى شبابه من أجل لقمة العيش التي تكون على حساب صحته وأولاده، ومن غربة في الوطن، حين يرجع إلى بلده وكأنه أجنبي عنها سيقضي بضعة شهور ثم

يتركها ويذهب إلى حيث أتى، ناهيك، عن فقدان الصلة بين الأب وابنه الذي فقد حنان صدر أبيه ودفئه بعدما لم يكن هذا الأب المغترب المثل الأعلى للابن، وإنما كان الجد أو الأم هو البديل له في القيام بهذه المهمة الشاقة.

لا يعني كل هذا أن الباحث يرغب في عدم خروج أبناء الوطن العربي- أو أبناء أي قطر فيه- خارج قطرهم أو دولتهم، وإنما يرجو الاهتمام بأبنائنا في الخارج والعناية بهم قيميًا، وحقوقيًا، وصحيًا، بالإضافة، إلى العناية بأسرهم وأولادهم.

٥) أما عن آثار عدم تمكين الشباب على مستوى الأمة العربية:

فإنه يعود بالضرر ليس على المستوى القُطري فحسب، بل وعلى الأمة العربية ونهضتها؛ وذلك من خلال عدم مسايرة الأمم المتقدمة تكنولوجيًا وعلميًا، وسياسيًا، واقتصاديًا،...، إلخ، ناهيك عن العيش في وحل التخلف والرجعية، ما لم تستيقظ الأمة من سُباتها وتعمل على وضع خُطط إستراتيجية تنموية يكون هدفها في المقام الأول العمل على تمكين الشباب واستغلال طاقاته وإمكاناته في المجالات المختلة.